(١٢)

محاولة

أما(١) أن رئيس الوزراء قد أخفق فى تنفيذ الخطة السياسية التى رسمها لنفسه ، أو التى رسمت له يوم ألف الوزارة منذ ثلاثة أعوام ، فذلك شىء لا شك فيه ، لا بالقياس إلى الذين يعارضونه ويخاصمونه ، بل بالقياس إلى الذين يؤيدونه وينصرونه ، وبالقياس إليه هو .

فالذين يعارضون رئيس الوزراء لم يشكوا لحظة فى أن إخفاقه محتوم ، وفشله أمر لابد منه ، لأنه أقام سياسته على إكبار كفايته الخاصة أكثر مما

---

(١) ٢٤ — ٣ — ١٩٣٣ عدد ٢٣٤٣

ينبغى ، وإصغار شأن الأمة إلى حد لا تقبله الكفاية الصحيحة حقا . ومن أقام سياسته على إكبار نفسه وإن كان فردا ، وإصغار خصمه وإن كان أمة كاملة ، فهو مخفق من غير شك . وقد أخذ المعارضون لرئيس الوزراء يلاحظون سياسته ، ويتابعون خطواته فى تنفيذ هذه السياسة ، ويبسمون لهذه الخطوات التى كان يراها هو انتصارا ، ويراها معارضوه إمعانا فى طريق الإخفاق والخذلان ، فلا هم اغتروا بهذه الخطب الطوال التى كانت تحشد ، والوفود التى كانت ترسل ، ولا هم اغتروا بتأليف ما سماه حزب الشعب ، ولا بإنشاء ما سماه جريدة الشعب ، ولا بما رآه فوزا فى الانتخاب ، ولا بأسفاره وإقاماته ، ولا برحلاته إلى أوربا وعودته منها ، وزياراته للعواصم ومقابلته للوزراء ورؤساء الحكومات ، بل للبابا .

لم يغتروا بشىء من هذا ، لأنهم قدروا ، ومن الحق على كل إنسان له حظ من الفطنة أن يقدر أن الفوز الصحيح الباقى المنتج فى هذه الأيام لا سبيل إليه إلا أن يعتمد رجال السياسة على الأمم والشعوب ، لأنها وحدها القوام الثابت لكل سياسة عملية . ولم يكد يعود صدقى باشا من أوربا حتى كان فوزه الموقوت قد انتهى إلى غايته ، ولم يبق بد من أن يتحول هذا الفوز شيئا فشيئا إلى الفشل والإخفاق . وقد داور صدقى باشا ما استطاع أن يداور ، وأخفى ضعفه ما وجد إلى إخفائه سبيلا ، ولكنه لم يخدع أحدا ولم يخف شيئا . وما هى إلا أن يعترف هو بهذا الإخفاق فى كتاب الاستقالة الذى رفعه إلى حضرة صاحب الجلالة الملك ليتخلص من زملائه الذين خالفوه فى سياسة الحكم . فقد كانت هذه الاستقالة نفسها اعترافا واضحا بالفشل ، وأى فشل أشد ، وأى إخفاق أعظم من أن يعجز رئيس الوزراء عن أن يقنع زملاءه وأقطاب وزارته بسياسته ، ويضطر إلى أن يستقيل ليخلص منهم ، وإلى أن يعترف بهذا كله فى كتاب الاستقالة .

وقد رقع صدقى باشا وزارته كما استطاع ، ولكنه لم يستفد من هذا الترقيع شيئا فنزع الرقعة التى ألصقها بوزارته فى يناير ، ووضع مكانها

رقعة أخرى منذ أيام ، وكان هذا الترقيع الأخير تسجيلا آخر لهذا الإخفاق وأنصار رئيس الوزراء يدورون مع رئيس الوزراء ، فهم يرددون مايقول ويكتبون ما ينطق به فيعلنون الفوز إن أعلنه ، ويلطفون اعترافه بالإخفاق حين يعترف به . وربما كان تسجيل هذا الإخفاق هو الشيء الوحيد الذى اتفق عليه رئيس الوزراء وأنصاره وخصومه جميعا فى وقت واحد ، ولكنهم لا يكادون يتفقون على هذا الإخفاق حتى يختلفوا فى التماس المخرج منه والتخلص من أثقاله وآثاره .

فأما رئيس الوزراء وأنصاره فيخيل إليهم أن الترقيع وسيلة من وسائل التخلص من هذا الفشل ، فهم يرقعون ويرقعون ، وهم يكسبون الوقت وينتظرون ما تدور به الأيام .

وأما معارضوه وخصومه فهم يرون أن كل شيء قد دل دلالة قاطعة على أن وزارة صدقى باشا لم تكن صالحة للبقاء ، ولم تصبح الآن قادرة على محاولة البقاء ، وأن من العبث أن تتحدى طبيعة الأشياء وتقاومها . وأنت تعلم حق العلم أنك مهما تؤيدك القوى الظاهرة والخفية ، فلن تستطيع أن تثبت لطبيعة الأشياء ، ولا أن تتغلب عليها . وإذن فلا مخرج من هذا المأزق الذى اضطر إليه صدقى باشا ، وورط فيه سياسة بلده إلا أن يستقيل ، ويدع هذه السياسة لمن هم أقدر منه على تصريفها والنهوض بأعبائها . وحسبه أنه قد أخر رقى وطنه ثلاثة أعوام ، وحسبه أنه قد أضاع على بلاده كثيرا من الفرص كانت تستطيع أن تنتهزها لتتقدم خطوات واسعة فى سبيل الإصلاح ، وحسبه أنه قد امتحن بلاده ، وأسرف فى امتحانها ، وقد فتن أمته وغلا فى فتنتها ، فأظهر مواضع للضعف ما كان ينبغى أن تظهر مشوهة قبيحة على هذه الحال . ولكن رئيس الوزراء يحب الحياة لوزارته ، كما يحب كل إنسان لنفسه الحياة ، فهو يطاول ويداور ، ولا يريد أن يتعجل فيقصى نفسه عن الحكم ، وإنما يريد أن تقهره الظروف القاسية فيدع الحكم كارها ، لا طائعا . وهو يعلل نفسه بالأمانى ، ويذهب المذاهب المختلفة فى إطالة مدته فى الحكم ، ولعله

لا يعدم من الانجليز الذين غلوا فى تأييده وإعانته من يشاركه فى الرأى ويقاوم معه طبيعة الأشياء ويدفعه إلى التعلق بالحكم حتى يضطر إلى تركه اضطرارا .

وكذلك وضع رئيس الوزراء نفسه فى هذا الموضع المؤلم الذى يثير الإشفاق والرحمة حتى فى نفوس خصومه ومعارضيه : فهو ضعيف قد فقد كل حيلة فى التماس القوة على النهوض بأعباء الحكم ، وهو مريض فى حاجة شديدة إلى الراحة ، وهو رغم ضعفه السياسى ، ورغم مرضه متعلق بالمنصب ، حريص على البقاء فيه .

والناس يقولون (ومن الكتاب السياسيين من يوافقهم على ما يقولون ولا يتحرج فى إظهار شىء من الرضى والأمل بما يقولون)إن فى الحركة الإدارية التى أحدثت أمس تمهيدا لتغيير السياسة الصدقية التى قام على فسادها ألف برهان وبرهان . فقد يظهر أن نقل المديرين من إقليم إلى إقليم إنما هو توسعة على هؤلاء المديرين فى أن ينهجوا فى السياسة نهجا رفيقا ، غير النهج العنيف الذى دفعهم إليه عنف صدقى باشا ، وإيثاره لإظهار القوة والبأس ، فقد يكون من العسير على مدير أسيوط السابق أن يلين بعد شدة ، ويخف بعد عنف دون أن يعرض كرامته وهيبته لشىء من الابتسام على ثغور الناس قد لا يصور الاحترام ، وقد يصور ما هو نقيض الاحترام ، لذلك نقل إلى الغربية ليكون فيها رفيقا شفيقا بعد أن كان عنيفا مسرفا فى العنف . وأرسل إلى أسيوط مدير البحيرة السابق ليظهر فيها من الموادعة والمصانعة ما لم يكن يستطيع أن يظهره مديرها السابق . وقل مثل هذا فى سائر المديرين الذين مسهم التغيير والتبديل .

وقد يكون هذا حقا ، وقد يكون صدقى باشا قد رأى أو رؤى له أن من الخير أن تتغير السياسة فى الأقاليم ، وأن يؤخذ الناس بالحسنى ، وتنجلى عنهم غمرة العذاب الذى أخذهم من كل مكان ، لتهدأ ثورة النفوس ، وليخف ما أشعرته القلوب من بغض للحكام . ولكن الشىء الذى ينبغى

الوقوف عنده إن كان هذا الكلام صحيحا هو أن الحكومة كانت أشد رعاية لنفسها ومديريها منها لأهل الأقاليم . فهى تضن بمدير أسيوط على أن يرفق بعد عنف ، ويلين بعد شدة ، وهى تؤثره بحبها وتحرص على كرامته وهيبته من ابتسام الناس . ولكنها لم تؤثر هؤلاء الناس بعطفها ورحمتها ولم تحرص على كرامة هؤلاء الناس أن يمتهنها مدير أسيوط بما كان يصب عليهم من عذاب فيه الإيلام والإذلال معا . هى تخاف على المدير من ابتسامة الناس ، ولا تخاف على الناس من عبوس المدير .

كرامة موظفيها أعز عليها ، وآثر عندها من كرامة الأمة التى إنما أقامت الحكومة لتخدمها ، وترعى مصالحها ، لا لتسخرها لأنواع الذل ، ولا لتؤثر عليها أفرادا من الموظفين . ومعنى هذا أيضاً إن صح ما يقوله الناس ، وينتظر الخير منه بعض الكتاب السياسيين أن الحكومة تعبث بعقول الناس ، وتلاعب الأمة كما يلاعب الرجل الطفل الصغير .

كان أهل أسيوط يضيقون بمديرهم فينقل هذا المدير ، ويرسل إليهم مدير آخر ، ويخيل إلى الحكومة أنها قد أرضت أهل أسيوط ، ولكن أهل أسيوط جزء من الأمة المصرية ، لأن أسيوط جزء من أرض مصر . وإساءة مدير أسيوط الى أهل إقليمه كانت إساءة إلى الأمة المصرية كلها . فانقلوه من أسيوط ، وضعوه حيث شئتم من الأرض فلن يغير ذلك من الأمر الواقع شيئاً ، والأمر الواقع أن هذا المدير وأصحابه لم يسيئوا إلى أهل أقاليمهم وحدهم ، وإنما أساءوا إلى الأمة كلها ، لأنهم أساءوا إلى القانون الذى كلفوا تنفيذه ، وإلى النظام الذى كلفوا حياطته وإلى العدل الذى كلفوا القيام على حمايته . وقد ذهب العصر الذى كانت الحكومات تفرق فيه بين الأقاليم ، وترى أن الإساءة إلى أحدها لا تمس غيره .

ذهب هذا العصر ، وأصبح كل فرد من أبناء مصر يصور الأمة المصرية كلها فى حقه على الحكومة من الحماية والرعاية . ولم تبق الأقاليم إلا وحدات إدارية ليس غير . وأكثر من هذا أن نقل المديرين أو عزلهم

أو محاكمتهم ، كل ذلك لا يغير من الأمر شيئاً ما دام الذى بسط أيدى المديرين على الناس مستأثرا بالحكم ، قادرا على أن يبسط أيديهم مرة أخرى . فليس الذى يهدىء ثورة النفوس ويلطف حدة القلوب ، هو أن ينقل مدير أو يعزل ، وإنما هو أن تستقيل الوزارة أو تقال .

إن الذين يظنون أن هذه الحركة الإداريةقد تكون تمهيداً لسياسة جديدة تسلكها الوزارة القائمة يخطئون خطأ قبيحا جدا ، ويقيمون أوضح الأدلة على أنهم لم يفهموا الشعب المصرى بعد . فالشعب لا يخدع منذ الآن بالصور والأشكال ، والشعب لا يرضى بأن ينقل مدير مكان مدير ، وإنما يريد الشعب أن تجتث هذه السياسة من أصلها ، وأن تتخلى الوزارة القائمة ليأتى مكانها قوم آخرون ، لا يبسطون أيدى المديرين على الناس إلا بالخير وأغرب من هذا أن من الكتاب السياسيين من عظم حظهم من خصب الخيال وبعده ، فهم يقدرون أن هذه الحركة الإدارية تمهيد لتغيير السياسة الانجليزية المصرية كلها ، ولإقامة وزارة مكان وزارة . وإذن فما أقوى رئيس الوزراء على نفسه ، وما أحراه بالإعجاب والإكبار ، وما أقسى هؤلاء الذين يوحون إليه ويملون عليه ، ويدفعونه إلى أن يمهد لخصومه الذين سيخلفونه ويعفون آثاره فى سياسة الدولة .

هذا كثير على رئيس الوزارة ، فما علمنا أنه قد بلغ من الإيثار هذا الحد إلا أن يكون لهذا التغيير المنتظر قوام آخر ، هو الذى أشارت إليه النيرايست أخيرا ، وهو توسيع الائتلاف وإضافة رءوس أخرى إلى رأس الوزارة القائمة . وإذن فما أجدر هذا التغيير بأن يلقى نفس الإخفاق الذى لقيته وزارة صدقى باشا .

قد تخطر فى عقول الساسة حلول مختلفة للموقف السياسى فى مصر الآن ، ولكن الشىء الوحيد الذى لابد منه لأى حل يراد أن ينظر فيه نظر جد وتفكير ، هو أن يتنحى رئيس الوزراء عن سياسة الدولة الآن ، وما أشد حاجته إلى أن يعتزل السياسة فى هذه الأيام ويستريح .